اللغة العاميّة واللغة الفُصحى

تقدم لنا من القول في هذه المسئلة ما لم يبقَ معهُ محلٌّ لمعاودة البحث فيها لولا ان رأينا من تحمس ارباب الاقلام عندنا وتضافرهم لصدّ هذه الغارة ما قدّرنا معهُ ان الخواطر قد صارت متأهبةً لقبول ما يُلقَى اليها وما بشّرنا بان القوم قد هبّوا من غفلتهم واستيقظوا للذود عن آخر ذخيرةٍ ابقاها لهم الدهر بل آخر مظهرٍ يمثّلهم في عالم الوجود ألا وهو اللغة التي هي عنوان الامة والمعنى الذي يتشخَّص بهِ كيانها وتمتاز بهِ عن سواها . وقد طالما كانت هذه النهضة مما تمنيناهُ وتابعنا ندآءنا بالتنبيه اليهِ والحث عليهِ فلم نصادف الا عيوناً ساهية وآذاناً صمآء . فالحمد لله ثم للقاضي ولمور الذي بعث تلك الهمم من رقدتها ولو بدُفعةٍ من المآء البارد ...

ولقد كنا نتوقع بعد الذي شهدناهُ من استطارة الخواطر على اثر ما اعلنهُ المؤيد من رأي المستر ولمور ان نرى من القوم غير ما رأيناهُ من طرق الدفاع عن اللغة واتخاذ الذرائع التي تضمن بقآءها وتجعلها بمأمنٍ من استئناف هذه الكرّة ولكننا لم نجد في جميع ما وقفنا عليهِ من المقالات الطويلة والرسائل المتتابعة الا ما يستفاد منهُ تسخيف رأي الخصم والاعلان برفض ما عرضهُ على الامة ثم مُسحت الاقلام على هذا القدر واكتفى القوم بما حجُّوا بهِ المستر ولمور واصحابهُ وبقيت اللغة بحالها وهي بادية المقاتل

على ان مسئلة حياة اللغة او موتها لا تتوقف على اقناع الخصم بقوة البرهان او افحامهِ بكثرة اللغَط ولا على رضى الامة بما عرضهُ القاضي ولمور او

إِبائها لهُ فانا لو فرضنا ان المشار اليهِ طوى كتابهُ او احرقهُ وأمنّا على اللغة من جهته لم نأمن عليها من جهةٍ اخرى هي اشدّ خطراً عليها من كتاب ولمور واعظم وبالاً ونعني بها جهة الامة نفسها وبالحري جهة علمآئها وأئمتها فانهم هم المطالبون بحياة اللغة واليهم ينتهي ما يكون من بقآئها او اضمحلالها . على ان ما ذكرهُ المستر ولمور في مقدمة كتابهِ سوآءٌ كان الغرض منهُ مصلحة قومهِ كما تأولهُ المتأوّلون ام مصلحة الامة المصرية كما هو ظاهر قولهِ فانهُ لا يخلو من مواضع استبصار حريّة بأن لا يذهلنا عامل الحنق على المؤلف او الاشفاق على اللغة او الدين ان ننظر فيها ونعمل بما تقتضيهِ قطعاً للسان الخصم وتداركاً لحال الامة . واهمّ تلك المواضع امران احدهما كثرة تشعب قواعد اللغة واتساعها الى ما يفوت الحافظة ويستغرق الزمن الطويل في تعلمها مما يكون عائقاً عن تحصيل سواها من العلوم والثاني قصور الفاظها عن اداء المعاني العلمية والصناعية وسائر مواضعات الحضارة العصرية على ما اشرنا اليهِ فيما سبق وكلاهما لا ريب فيهِ ولا غنى عن تداركهِ

فاما الاول فمن المعلوم ما بلغت اليهِ النحاة من كثرة المذاهب واختلافها وتعدُّد الاقوال في كل مسئلة وكثرة المفترضات والمستنبطات مما يتشتت بهِ ذهن الطالب ويعجز عن استيعابهِ لكثرتهِ وربما قضى عمرهُ بطولهِ في درس قواعد النحو ومراجعتها ولا يزال شيءٌ منها غائباً عنهُ حتى لا يأمن اللحن احياناً من حيث لا يشعر . وذلك ان العرب كانت قبائل متفرقة لكلٍّ منها لغاتٌ ومذاهب تنفرد بها عن عامتها فلما جمع النحاة تلك اللغات تعين على المتأخر ان يتعلمها جميعاً ثم زادوا على ذلك كل ما سُمع في

الشعر شاذًّا عن القواعد حتى في لسان الشاعر نفسهِ وحينئذٍ فمنهم من اطلق القياس على هذا الشاذ ومنهم من قصرهُ على الضرورة . قال الاندلسيّ في شرح المفصَّل والكوفيون لو سمعوا بيتاً واحداً فيهِ جواز شيءٍ مخالف للاصول جعلوهُ اصلاً وبوّبوا عليهِ بخلاف البصريين قال ومما افتخر بهِ البصريون على الكوفيين أن قالوا نحن نأخذ اللغة عن حَرَشة الضِباب وأكَلة اليرابيع وانتم تأخذونها عن أكَلة الشوآء وباعة الكواميخ[1] ... قلنا وما ذُكر هو اصل الخلاف بين البصريين والكوفيين بل اصل هذا الفساد الذي طمى على اللغة والنحو حتى اصبح الخائض في مسائلهما كالخابط في ظلماتٍ بعضها فوق بعض . وزد على ذلك ان منهم من كان يضع البيت من عندهِ يقصد بهِ نصرة رأيٍ ذهب اليهِ او توجيه كلمةٍ صدرت منهُ فيتناولهُ الائمة عنهُ ويحتجّون بهِ في تصانيفهم فازداد الخرق بذلك اتساعاً والطينة بلّةً وقد ذكروا ان في كتاب سيبويه خمسين بيتاً من هذا القبيل لا يُعرَف قائلوها

وهناك شيءٌ آخر يسمونهُ تركيب المذاهب وهو يشبه تداخل اللغات قال ابن جنّي وذلك ان تضمّ بعض المذاهب الى بعض وتنتحل بين ذلك مذهباً ثالثاً .. فاذا سميت رجلاً بيَرَى (مضارع رأى) فمذهب يونس ان يصغَّر على يُرَيئي بردّ الهمزة المحذوفة ومذهب سيبويه ان يصغَّر على يُرَيّ مثل فَتَى وفُتَيّ لانهُ يكتفي بالحصول على مثال التصغير . ثم ان يونس يمنع

(١) الضباب جمع ضبّ وهو دويبة برية تعرف بالحرذون وقيل الحرذون ذكر الضباب وحرش الضبّ صادهُ . واليرابيع جمع يربوع وهو دويبة نحو الفارة والكواميخ جمع كامخ بفتح الميم وفسرهُ في شفآء الغليل بالمخلل يشهي الطعام

صرف يُرَيْئي وسيبويه يصرف يُرَيّ فيقول من ركّب المذهبين رأيت يُرَيئياً بردّ الهمزة على مذهب يونس والصرف على مذهب سيبويه وهو مذهب المازني

ويلحق بذلك كلهِ من التعليلات والتوجيهات في كل مسئلةٍ بين ان تُرَدّ الى اصل كذا أو اصل كذا وان تجري على هذه اللغة أو تلك ما يفوت الحصر ويستوقف البصيرة حائرةً دون الحكم . وانظر في ذلك الى كلامهم في اصالة المصدر أو الفعل وفي عامل المنادى والمستثنى واسماء الشرط وتعيين نائب الفاعل في نحو قولك مُرّ بزيدٍ بين ان يكون الجارّ والمجرور أو المجرور وحدهُ أو الجارّ وحدهُ أو شيئاً آخر غير الجارّ والمجرور اي المصدر المفهوم من الفعل وفي مثل اعراب لا سيما وأَجدّك لا تفعل وكأني بك شاعرٌ ولا عاصم اليوم والفرق بين البدل والبيان ومسائل الصفة المشبهة الى غير ذلك مما اختلفت مذاهبهم فيهِ ولم يدعوا وجهاً مما يمكن ان يتمثل للذهن أو يُتوصل اليهِ بقياسٍ صحيح او فاسد الا طرقوهُ وجعلوهُ مجالاً للمماحكة والجدال . وهذا وامثالهُ هو الذي صيَّر احكام اللغة الى ما شاع عنها من الصعوبة والاشكال حتى صارت تُعَدّ طلسماً من الطلاسم أو كنزاً من الكنوز المرصودة وهو كما ترى يرجع جلهُ اوكلهُ الى مذاهب النحاة واختلافاتهم وليس من كلام العرب في شيء وانما هو صنيع من لا شغل لهُ غير الصور اللفظية يقلّبها على ما تحتملهُ من الوجوه فلم يَدَع في ذلك ولم يَذَر

ولا يخفى ان هذا التوسع كلهُ مما لا يحتمل اليوم فضلاً عن ان الكثير منهُ لا حاجة اليهِ الا في بعض الاحوال لتخريج آيةٍ او حديث او بيتٍ

من الشعر وهذا ليس مما يجب ان يحيط بهِ كل طالبٍ للغة والا لزم تعطيل بقية العلوم والاقتصار على علوم العربية وحدها وهي لا تغني في مقام التنازع العصريّ شيئاً

ولذلك فاول ما ينبغي الاهتمام بهِ تأليف لجنةٍ من ذوي البصائر السليمة والعلم الصحيح تتولى كتب النحو بمثل ما فعل مؤلفو مجلة الاحكام العدلية في الكتب الشرعية فيختارون من كل قاعدةٍ اصح الاقوال وامثلها لتكون مرجعاً لطلاب هذه الصناعة وتُنبَذ بقية الاقوال الساقطة والمذاهب المرجوحة ويكون في ضمن ذلك اهمال كل ما يتعلق بالقرآءات المختلفة واللغات الشاذّة والضرورات الشعرية مما يُترَك الكلام عليهِ للتصانيف المختصة بهِ بحيث يتخلص النحو في الوجوه التي عليها الاستعمال ويكون ذلك ذريعةً تتوحد بها قواعد اللغة كما توحدت اللغة بالقرآن

ومثل ذلك يُفعَل بكتب متن اللغة فتُنبَذ منها اللغات المتروكة والالفاظ الوحشية من كل ما لا يُرَى في الكتب المتداوَلة لهذا العهد وما لا يجوز للفصيح استعمالهُ على ما نصّ عليهِ علماء البيان لان هذه كلها مما يقتضي الاطالة في الشرح الى حد الملل ويكثر التخليط على الطالب من غير فائدة ٠ ثم يُنظَر في التعاريف المبهمة او المهملة ولا سيما تعاريف اسماء الحجارة والجواهر وانواع النبات والحيوان على قدر ما يمكن التوصل اليهِ ولو بالادلة الوضعية والمناسبات الاشتقاقية وترتَّب الالفاظ على وجهٍ سهل المراجعة لا يكلف عناءً ولا بحثاً طويلاً بحيث تكون كتب اللغة عندنا على مثل ما هي عليهِ في اللغات الاوربية

فاذا امكن الوصول الى ذلك كان ولا جرم وسيلةً لتقريب منال اللغة على الوطنيّ بحيث لا يبقى بمعزلٍ عنها ولا يُضطرّ ان يضيع الزمن الطويل في تعلمها وسهّل تناولها على الاجنبيّ فلا يجد فيها من العقبات ما يشكوهُ اليوم . وفي ذلك فوائد اخر اهمها بعد ما ذُكر تكثير عدد المتعلمين في الامة وبالتالي شيوع اللغة الفُصحَى بين افرادها لتمكنهم من فهم كتبها وهذا ولا ريب من آكد الاسباب لتصحيح لغة الاقلام واللغة العامية جميعاً لان الكاتب حينئذٍ يتحدّى ما يقرأهُ من الكتب الفصيحة واذا تكلم تجافى ما استطاع عن الالفاظ السوقية والتعبيرات السخيفة مما يؤدّي الى ان تبطل شيئاً فشيئاً على تراخي الايام　(ستأتي البقية)

لسان العرب لا يُمسَخ

بقلم حضرة الكاتب نجيب افندي الجاويش

ليس من غرضي في تدوين هذا المقال ابطال رأي من قال بضرورة ابدال لغة العرب الفُصحَى باللغة العامية وتقميصها اشكالاً عتيقة لاتينية وبعبارةٍ اخرى الاستعاضة عن صورة الحسناء بصورة الشوهاء فهذا شأنٌ قد احتُجّ عليهِ ونهضت براهين الكتبة والمحققين على تزييفهِ وتجريحهِ وتضافرت الآراء الصائبة على انهُ رأيٌ فائل ومذهبٌ عاطل وانما غرضي الاقصى تذكير ابناء هذا اللسان الشريف وقد تنفع في هذا المقام الذكرى ان كل احتجاجٍ بغير سعيٍ عجز وكل اقوال لا يعقبها افعال بناءٌ في الهواء وكلمات مكتوبة على صفحات الماء اقول هذا محرضاً علماء الاسلام والنصرانية في مصر وسورية

على وجوب الاتفاق والاتحاد لانشآء مجمع لغوي يؤلّف من اعلام الملتين لدفع غارة الاجانب عن حوزة اللغة وصون اللسان العربي من التحريف والتبديل وقد لجَّ اليوم داعي الاحتياج الى وجوب سدّ هذا الخلل الفاضح وتقاضي هذه الحاجة بالاقرب العاجل لان القوم على ما يلوح يرومون الحلول في ما بقي لنا من آثار السلف ومفاخر العرب الاثيلة وهو اللسان الذي هو اداة التبيان وعنوان الفصاحة والبيان فانهم يحاولون ان يمسخوهُ ويحوّلوهُ الى صورةٍ يتمكنون بها من محوه وملاشاتهِ من لوح الوجود تدريجاً تبعاً لسنَّة تنازع البقآء وما علم المستر ولمور واضرابهُ انهُ ان صحّ في زعمهم مذهب دروين في اصل الانواع واعني بهِ مذهب التحول في ابناءِ آدم وقردٍ عهدهُ تقادم فلا اعتقد انهُ يصحّ رأيهُ في مسخ لغةٍ يتكلم بها ٢٣ مليوناً من البشر في مصر وسورية والعربية وينتحلها ثلاثمائة مليون من اهل الاسلام يقرأون القرآن ويهوون العربية من اجلهِ ٠ وعلى فرض ان الغالب على امصار العرب يتمكن في مستقبل الايام ان يعمل بهذا الرأي فلا اظنهُ يصل الى ان يمسخ اللسان العربي او يقتدر على محو آثارهِ قبل ان ينفسح الامد لاهل العربية ان يأخذوا أهبة العمل لصونهِ من ايدي التلاعب والضياع هذا اذا دبت اليوم في عروقهم نخوة الاجتهاد ولعبت في صدورهم روح الرجال العاملين على حفظ اللسان من عبث العابثين

قلت ينبغي اتفاق اعلام الملتين على انشآء مجمع لغوي لدفع غارة الاجنبي عن اللسان والسعي الى سدّ هذه الحاجة بقضآئها في الاقرب العاجل لانها قضية حيوية ومسئلة اجتماعية في العمران العربي لا ينبغي اغفالها بتةً ٠ وان

دخل اصحاب العربية في حوزة الاجنبي فاللسان لا يدخل في قبضة الغالب ولا يلحقهُ غبار من غارة الظافر المقتحم ما دام في اهلهِ رجالٌ يوثّقون دعائمهُ ويحصّنونهُ من غارة المعتدين

أليس في خلوّ المجتمع العربي من مجمع لغوي يضم تحت جناحيهِ رجال العلم والاقلام نقصٌ مسجلٌ عليهِ في اعين الاجانب أوَليس من فروض المشتغلين بالعربية التضافر على انشاء مثل ذلك المجمع ابقآء على حياة اللغة وايذاناً باننا لا نزال امةً حية تدافع عن مجدها وشرف اسلافها ولو في امر اللسان الذي هو اليوم سلاحنا الوحيد . . . فانهُ اذا غلّ الضعف ايدينا فلم نستطع الدفع عن حوزتنا فلا اقلّ من ان نبقى امةً ذات شعارٍ معلوم واذا سلبنا الدهر كل ما ترك لنا السلف من الذخائر الحسية فلا اقلّ من ان تبقى لنا هذه الذخيرة العلمية ولا يحال بيننا وبينها بحجب الجهل حتى نعود قوماً هملاً ولا نعلم من بعد علمٍ شيئاً . فمن لنا بأناسٍ ينهضون بهذا العبء ويردفون القول بالعمل فان القول وحدهُ لا يغني وانما نحن في حاجةٍ الى رجالٍ يقيمون اود المعوجّ ويرأبون الصدع ويعملون لما فيهِ خير الاوطان وعزة اللسان وان كل احتجاجٍ من غير سعيٍ عجز ورحم الله عبداً علم فعمل

الكلَب

جآء في احدى المجلات ما محصّلهُ ان هذا الدآء غير مخصوص بالكلاب وحدها فقد يكون في القطط والذئاب والخيل والبقر وغيرها كما ان عدواهُ لا تنحصر في عضّ هذه الحيوانات ولكن لعابها معدٍ عن اي طريق

وصل الى الدم . ومما ذكر في ذلك ان امرأةً كان عندها كلبٌ صغير وكان معتاداً ان يلحس وجهها فاتفق ان هذا الكلب عرضت لهُ هذه العلة وكان في وجه المرأة بثرةٌ صغيرة فلم تلبث ان سرت اليها عدوى الكَلَب وكان ذلك سبب موتها

اما معرفة الحيوان الكَلِب فأصدق دليل عليهِ تشريح جثتهِ وتلقيح بعض الحيوانات بمخّ عظمهِ هذا اذا كان قد عضّ احداً واريد ان يُتحقق امر العدوى . واما في غير ذلك فان الكلب مثلاً اذا عرضت لهُ هذه العلة يتغير طبعهُ تغيراً فجائياً فتظهر عليهِ الكآبة والسكوت والنعاس ويمتعض لأقلّ شيء وبعد هذا الانكسار يتهيج وينشط فيعود الى حالة الارتياح والانبساط ويثب ويمرح ويلحس صاحبهُ بشغف وهي امورٌ ربما اغترّ بها من لا يعرفها فأمن جانبهُ الا انها على الحقيقة من اعراض العلة

وبعد ذلك يعود الى ما كان عليهِ من الانقباض ويزداد اضطرابهُ وتمثل لهُ خيالات مخيفة فيتوهم امامهُ اعدآء يندفع عليهم ويهرّ بصوتٍ يختصّ بهذه الحال يدلّ على كربٍ باطن يكررهُ على دفعتين يكون في احداهما خشناً مغمغماً وفي الثانية حادًّا كما يكون في حال النزع وهو صوتٌ يعرفهُ من سمعهُ مرةً فيشخّص المرض ولو عن بعد . وقد تعرض لهُ نوب هيجان وغضب فيهجم على ما يصادفهُ من الحيوانات ويعضها ويستولي عليهِ عطشٌ مبرّح الا ان الابتلاع يكون شاقًّا عليهِ ولذلك يفيض لعابهُ فيُرَى مزبداً

اما اتقآء هذا الدآء فأفضل ما اصطُلح عليهِ تعقُّب الكلاب الشاردة حتى لا يبقى منها الا ما لهُ مالك ثم شدّ الكمام على افواه الكلاب البيتية حتى

لا تستطيع العضّ . وقد استعملت هذه الطريقة في ڤينا منذ بضع سنين فانتسخ هذا المرض منها بتةً ثم استعيض عن الكمام بوضع صفيحةٍ في ساجور الكلب اي في قلادتهِ حتى يتميز المملوك من الشارد فعاد الداء نهادوا الى الكمام فزال اثرهُ

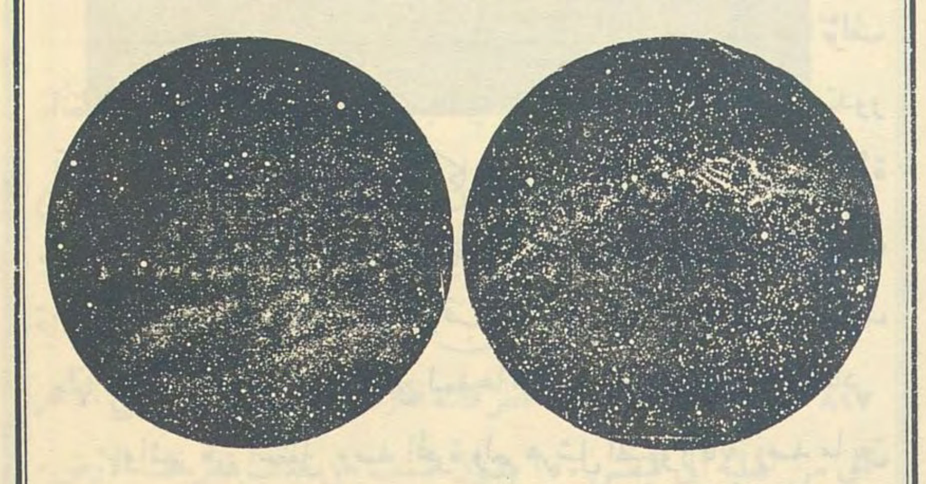
واما الاحتياط الذي ينبغي ان يتخذ للمعضوض فقد اصُطلح في بعض البلاد على غسل مكان العضّ بالمآء والملح ثم كيّهِ مراراً متوالية بالحديد المُحمى . ولا ريب ان الكيّ من الوسائط الفعالة لابطال فعل السمّ الا انهُ شديد الايلام ولذلك يحسن ان يستعاض عنهُ بمحلول كلورور البوتاس فانهُ من افضل مضادّات السموم ومثلهُ صبغة اليود وخلاصة التربنتينا وعصارة الليمون الحامض . وبعد ذلك يُعصَب العضو المعضوض بين مكان العضّة والقلب لمنع امتداد السمّ الى سائر الجسم ثم ينظَّف الجرح ويُغسَل مراراً بالمآء الغالي ويُرسَل الشخص في اعجل ما يمكن الى مستشفى الكَلَب ليُستعمَل لهُ لقاح پستُور المشهور . وفوائد هذا اللقاح لا تنكَر فانهُ قبل اكتشافهِ كان الذين يموتون بالكَلَب من ١٥ الى ٢٠ في المئة فاصبحوا اليوم ٦، في المئة او ٦ في الالف وذلك بفضل هذا الاكتشاف الذي جعل السمّ واقياً من السمّ

اما مدة المحاضنة في هذه العلة فهي من شهر الى شهرين وقد تطول الى اكثر وفي هذه المدة تتواتر عادةً نُوَب ابتدآء الاعراض فتأخذ قُوَى العليل في الانحطاط ويعرض لهُ ارقٌ وانقباضٌ نفساني يعقبهُ تهيُّج وآلام شديدة في الحواس ويأخذهُ عسر بول وسهَف اي عطش شديد الا انهُ يمتنع من الشرب لما يكون معهُ من عسر الابتلاع على ما ذكر من اعراض

هذا المرض حتى انهُ لمجرَّد النظر الى المآء او آنيته ِتعرض لهُ نوبةٌ تشنجية يكون اشدّها في الحنجرة ولذلك يفيض لعابهُ بكثرةٍ على ما تقدم حتى لا يستطيع ضبطهُ ويعتريه ِقُشَعْريرة ونُوَب غضبٍ واضطرابٌ في التنفس ويصيح بصوتٍ ابحّ . وتكون هذه النوب اولاً متقطعة ثم تكثر شيئاً فشيئاً ويعقبها حالة شلل مصحوب بضعف في العصب يفضي الى الموت اختناقاً . انتهى

المجرّة

اذا نظرت الى السمآء في احدى الليالي الصافية ترى منطقة نيرة ممتدة من افق الى آخر هي المسماة بالمجرة وهي تارةً تضيق حتى يصير عرضها ثلاث



الى اربع درجات وتارة تنتشر على مساحة تفوقها باربعة اضعاف

والافرنج يسمون هذه المنطقة بالطريق اللبنية وهو تعبير منقول عن خرافات اليونان لانهم كانوا يزعمون انها قطرات من لبن الالاهة يونون

سقطت من فم هركول . والعرب يزعمون انها باب السمآء ولذلك يسمونها شَرَج السمآء اي الموضع الذي تنشق منهُ

والمجرة تمتدّ من قيفاوس شمالاً وتقطع خط الاستوآء بحيال شرقي الجوزاء حتى تنتهي الى الصليب الجنوبي ثم تعطف شمالاً فتقطع خط الاستوآء من الجانب الآخر عند الحوّآء حتى تعود الى قيفاوس فترسم دائرةً كاملة

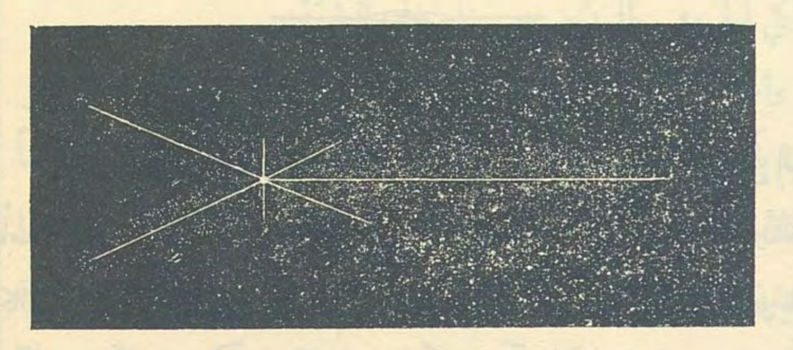
اما حقيقة المجرة فقد عبر الناس قروناً متوالية لا يعلمون ما هي حتى اختُرعت المناظير على يد غاليلاّي منذ نحو ٣٠٠ سنة فكان هو اول من بحث فيها ولما وجه المنظار نحوها ظهر لهُ انها مؤلفة من نجوم متقاربة لا تتميز بالنظر المجرد وعلى ذلك ارتأى كبلر ان هذه المنطقة النجمية العظيمة وجميع النجوم المنتشرة خارجها هي نظام واحد الشمس في مركزهِ على التقريب

وبعد ذلك بنحو نصف قرن ارتأى كانْت ان النجوم باسرها تؤلف انظمةً كنظام شمسنا مرتبطة بالجاذبية العامة وان المجرة نظام عظيم تدور الكواكب المؤلف منها في سطحهِ كما تدور اجرام النظام الشمسي في دائرة البروج وهي تدور حول جرم عظيم في مركزها لعلهُ الشعرى اليمانية . وان السُدُم الهليلجية التي لا تقوى المراقب على حلها هي مجرّات اخرى يتكون منها مع المجرة نظام واحد ولكن لبعدها الشاسع تظهر لنا قليلة الامتداد

واشهر من اشتغل برصد المجرة وليم هرشل المشهور فانهُ رصد ما بين ٤٥ درجة من الميل الشمالي الى ٣٠ درجة من الميل الجنوبي وكانت زجاجة مرقبهِ تقع على $\frac{١}{٨٣٣٠٠٠}$ من السمآء فظهر لهُ ان النجوم المتوزعة في المسافة المذكورة تختلف اختلافاً عظيماً في الكثرة والكثافة ففي بعضها لا يُرى

بالنظرة الواحدة زيادة على نجم واحد وقد لا يُرى نجمٌ اصلاً وفي بعضها يُرَى نحو ٦٠٠ نجم بمرة واحدة فقدَّر من وجود هذا الاختلاف ان خط النظر يمتدّ تارةً الى ٤٦ ضعفاً من بُعد الشعرى اليمانية وهي الجهة التي ترى فيها النجوم الكثيرة وتارةً الى ٤٩٧ ضعفاً من المسافة المذكورة اي نحو ١١ ضعفاً من البعد الاول فلا يُرى شيءٌ من النجوم لقصور المنظار عن تناولها

وكانت نتيجة رصودهِ الاولى ان المجرة مجموع نجوم عظيم متشعب يشتمل على ملايين من النجوم بحيث لو قُطع كان على الشكل الذي تراهُ



امامك والشمس قائمة فيما يقرب من مركز جاذبيتهِ وهو محل تقاطع الخطوط في الرسم وان النجوم التي ترى بالنظر المجرد هي القريبة من الشمس. اما مساحة المجرة فان قطرها من الكركدَّن الى العقاب يبلغ مسافة ٨١٧ مليون ضعف من نصف قطر فلك الارض ومن احد قطبيها الى الآخر اي من الهُلبة الى قيطس ١٥٠ مليون ضعف من نصف قطر فلك الارض. ويلزم النور ليخترقها عرضاً من قطب الى آخر ٢٣٠٠ سنة ولا يلزمهُ اقلّ من ١٢٥٢٠ سنة ليجتاز قطرها الاعظم

اما عدد نجوم المجرة فقد وجد ان معدل ما يوجد منها في قسم عرضهُ

درجتان وطولهُ ١٥ درجة هو ١٥٠٫٠٠٠ نجم وعلى ذلك تكون كل نجوم المجرة نحو ٢٠٫٠٠٠٠٠٠ نجم . وفي قول بعضهم اننا لو ضاعفنا هذا العدد الى ثلاث مرات أو اكثر لا نخطئ

ثم ان وليم هرشل قدَّر ابعاد اجزاءٍ مختلفة من المجرة قياساً على قوة النور الواصل الينا منها فظهر لهُ ان اقرب قسم منها الى الشمس هو الذي يخترق الجوزاء وان جميع النجوم التي تُرى بالعين المجرَّدة واقربها الينا الشمس هي داخلة فيها ومعدودة منها والله اعلم　　فريد البرباري

الأَسَن

هو بفتحتين مصدر أَسِنَ مثل تَعِبَ قال في القاموس اذا دخل البئر فأصابهُ ريح منتنة فغُشي عليهِ . اه . ويقال فيهِ ايضاً الوَسَن واليَسَن والفعل كالفعل . والمراد بهِ هنا التسمم الحادث عن انتشاق الحامض الكربونيك أو اكسيد الكربون وهما متقاربا الفعل لكن جاء في مقالةٍ لبعض الاطباء بيان الفرق بينهما قال فان الناس يخلطون بين هذين الغازين باعتبار مفعولهما القتال ولكنهما على الحقيقة يتفاوتان من هذه الجهة بما لا يخلو بيانهُ من فائدة

وذلك انهُ اذا أُوقد فحمٌ في غرفةٍ مُوصَدة النوافذ فانهُ قبل ان يتمّ اشتعالهُ ينبعث عنهُ غازٌ سامٌّ يؤدّي الى الاختناق وهو الحامض الكربونيك ولكن الذي يميت فيه هو اكسيد الكربون المصاحب لهُ لان هذا الغاز مسممٌ لا خانق . ويتم التسمم به بأن يحلّ محلّ اكسيجين كريّات الدم فيحدث

فيها ضربٌ من الشلل تعود بهِ غير قابلة للاحتراق العضوي وهو السبب في حدوث الموت

ويكفي لهلاك الحيوان ان يكون في الهوآء الذي يتنفسهُ جزءان من الف من اكسيد الكربون واذا طالت مدة تعريضهِ لهُ فجزءٌ من سبعة آلاف . وقد يبطئ حدوث الموت اذا تُنفّس هذا الغاز بمقادير قليلة ويكون سببهُ ما ينشأ عنهُ مما يسمى بفاقة الدم والذين يصابون بهِ هم اصحاب الحِرَف التي تستلزم تولُّد هذا الغاز كالطباخين والخبازين والكوّآئين ومبيّضي الآنية وسبّاكي الحروف والمعدّنين ومن الى هذه الطبقة

واما الحامض الكربونيك فان التسمم بهِ يكون اخفّ كثيراً من التسمم باكسيد الكربون ولكنهُ يُحدِث الاختناق . وفعلهُ قد يكون سريعاً اذا كان ما يخالط الهوآء منهُ بمقدار الربع أو الخمس وقد يكون بطيئاً اذا كان دون ذلك كما يحدث في المجتمعات الحافلة من نحو المعامل الصناعية والمثابات العمومية وربما كان شيءٌ من ذلك في المدن الكبرى فان سم هذا الغاز ينتشر فيها بين جميع السكان لاختزانهِ في المنازل في مدة الثماني أو العشر ساعات التي هي مدة النوم

وقد امتحن بعضهم فعل هذا الغاز فادخل منهُ على الهوآء المتنفَّس مقدار ٢٠ في المئة وترك الحيوان فيهِ مدةً فمات فزاد على هذا الهوآء مقداراً من الاكسيجين يعدل ثلاثة اضعاف الاكسيجين الذي يوجد عادةً في الهوآء الطبيعي ثم ادخل اليهِ حيواناً آخر فهلك ايضاً في نفس المدة التي هلك فيها الحيوان الاول فدلّ ذلك على ان موت الحيوان الاول لم يكن من

نقص الاكسيجين في الهوآء ولكن لان كرّيات الدم لم تقوَ على التلخص مما خالطها من الحامض الكربونيك

واكثر ما يتعرض لهذا الحامض من اصحاب الحِرَف الذين يحفرون الآبار وارباب الصنائع التي تدعو الى التخمير كما يكون في معامل الجعة والخمر والتقطير والتصفية واشباه ذلك حتى ان تطهير آنية التخمير كثيراً ما لا يخلو من خطر ولذلك ترى اكثر اصحاب هذه الصنائع يصابون بالصداع اما العلاج فان كان الحادث عن احد الغازين شيئاً من الاعراض المذكورة عولج بانشاق الاكسيجين وان تسبب عنهُ الموت عولج باحداث التنفس الصناعي وجذب اللسان ونحو ذلك مما يُستعمَل في علاج الغرقى والمصعوقين على ان التسمم بالحامض الكربونيك اقلّ خطراً واقرب الى الشفاء والله الشافي

تحنيط الحيوان

الظاهر ان تحنيط الحيوان ليس من الصنائع المحدثة كما يذهب اليهِ بعض الباحثين واصدق شاهد على ذلك ما يُرى في البقايا المصرية من جثث الحيوانات المقدسة الباقية الى اليوم وهي تعدّ بالالوف وكانت تحنَّط على نفس الطريقة التي كانوا يحنطون بها اجساد البشر . وممن استعمل تحنيط جثث الحيوان اليونان والرومان الا انهم كانوا يتحرَّون مع حفظها من الفساد ابقآءها على شكلها الظاهريّ ولم تُعلَم الطريقة التي كانوا يستعملونها في ذلك لكن يستفاد من كثيرٍ من النصوص انهم كانوا يستطيعون ان يحفظوا

يحفظوا اشكالها تمام الحفظ . اما في العصور الوسطى فلم تكن هذه الصناعة تتعدى حشو بعض الطير والحيوانات النادرة بالتبن لحفظها في بعض خزائن الاديار والقلاع ولم يتنبهوا لتحسين هذا الفن الا في النصف الثاني من القرن السادس عشر واول من برع في هذه الصناعة واشتهر بها الانكليز والطليان وكان جلّ ما افرغوا فيهِ جهدهم اذ ذاك الوصول الى حفظ تلك الاجسام من البلى حتى اذا استقام لهم ذلك انصرفوا الى تكميل هذه الصناعة وتوفيتها حقها من الاتقان حتى توصلوا في هذا العصر بعد توفير اشكال الحيوانات والوانها الى ان جعلوها تمثل حركاتها وسائر هيئاتها الطبيعية

اما طريقة التحنيط فانهم اولاً يستخرجون من جثة الحيوان كل ما هو قابلٌ للتعفن كاللحم والاحشآء ولا يتركون الا الجلد واحياناً عظام الاطراف وذلك بواسطة شقّ في البطن على خطّ الوسط . ثم يحشونهُ بموادّ صلبة مرنة يملأون بها مواضع الفراغ وهذه المواد تختلف تبعاً لحجم الحيوان واكثر ما يستعمل في ذلك المشاقة والقطن ولا يستعمل التبن والحشيش الا في الحيوانات الضخمة الجثث . وبعد ذلك يركّبون فيهِ هيكلاً من خشب أو حديد او صُفر يُحكَم صنعهُ وتركيبهُ بحيث يجيء شكل الحيوان موافقاً للوضع الطبيعي وهو ادقّ ما في هذه الصنعة . واخيراً يُحفَظ الجلد مع ما عليهِ من الشعر أو الريش من قرض الهوام بوضع بعض المركبات الكيماوية وافضل ما اصطُلح عليهِ منها الصابون الزرنيخي وهو يركَّب من ٢١٠ اجزاء من الزرنيخ الابيض و ٢٤٠ من الصابون الابيض و ٩٠ من البوتاس و ٣٠ من الجير و ١٢ من الكافور تذاب في المآء ويُدهَن منها بريشةٍ ونحوها

على المواضع التي يرادها حفظها وهي شديدة الخطر لما فيها من الزرنيخ ولذلك يجب ان يُتحفظ في استعمالها غاية التحفظ

تشريح المعادن

تشرَّح اليوم عضَل الفولاذ وانسجة الذهب والفضة وغير ذلك من المعادن كما تشرَّح عضل وانسجة الحيوان لانهم لم يعودوا يكتفون باختبار المعادن صافيها وخليطها لمعرفة مقدار قبولها للسحب واللّيّ مما يُتوصل اليهِ بالنظر الى مكسر المعدن ولكنهم يطلبون الوقوف على كُنه بنآئها وتركيب جواهرها وبالتالي معرفة تشريحها العنصري وذلك بواسطة استخدام المِجهر وهو العين التي يمكن ان يُرَى بها حتى جزءٌ من الف من المليمتر

فاذا ارادوا فحص معدنٍ صوّروا مكسرهُ بالفوتغرافية او صوروهُ وهو في الحالة الاصلية بحيث ترتسم صُوَرٌ بلوراتهِ الطبيعية وربما اوصلوهُ الى الهيئة الطبيعية بالصناعة فانهُ اذا أُخذت قطعةٌ من الصفيح المطليّ بالقصدير يمكن ان تظهر هيئة البلورات القصديرية بان تعرَّض تعريضاً خفيفاً لتأثير الحامض الكلوردريك وكذلك الفولاذ فانهُ يُقرَع ببعض انواع الحوامض فيظهر عليهِ الرسم البديع الذي يُرَى على السيوف الدمشقية

فاذا كانت بلورات المعدن ضخمةً يكون المعدن قصِفاً اي سريع الانكسار وغير صالح لجميع ضروب الصنعة وكذا اذا اختلفت كثافة بلوراتهِ لان السحب والطرق يلززان دقائقهُ فيصير بعض اجزآئهِ اصلب من بعض ولذلك يُستحبّ ان تكون البلورات دقيقة متماثلة الكثافة وكلاهما تحقق

معرفتهُ بواسطة المجهر لانهُ يُظهِر كيفية تجمّع هذه البلورات وما بينها من التناسب في اكثر المعادن

ثم ان صورة الفولاذ المأخوذة بالفوتغرافية يمكن ان يُعرَف بها درجة الحرارة التي ضُرِب عليها او سُحِب وتميَّز حالة السقي وما يتصل بها وفي كل ذلك فوائد لا تنكَر وهو من جملة الغرائب التي توصلوا اليها في هذا العصر

اسئلة واجوبتها

القاهرة — سمعت من بعض الادبآء ان اسم المفعول من الثلاثي لا يجمع جمع تكسير فلا يقال في جمع مشهور مثلاً مشاهير فما قولكم في ذلك

احد المشتركين

الجواب — ما سمعتموهُ هو المنصوص عليه في كتب الصرف قال في المفصَّل وفَعّال وفُعّال وفعّيل ومفعول ومُفعَل يُستغنَى فيها بالتصحيح عن التكسير . ثم ذكر الفاظاً وردت بالخلاف منها ملاعين ومشائيم وميامين في جمع ملعون ومشؤوم وميمون وزاد الرضي في شرح الشافية مكاسير جمع مكسور ومساليخ جمع مسلوخة . قلنا وهناك الفاظٌ أخر قالوا مجنون ومجانين وارضٌ مجهولة واراضٍ مجاهيل وهذه عن لسان العرب . وفي تاج العروس المنشور ما كان غير مختوم من كتب السلطان والجمع المناشير . وفيهِ ويومٌ منحوس ورجلٌ منحوس من مناحيس وكذا قومٌ أنكاد ومناكيد اي مناحيس الا انهُ لم يذكر مفرد المناكيد . وجآء فيهِ ايضاً المطمورة الحفيرة

تحت الارض.. والجمع المطامير. وفي كلام النحاة المفاعيل وهي جمع مفعول. وفي اصطلاح الصوفية المجاذيب جمع مجذوب. وفي كلام غيرهم المقاطيع والمجاميع جمع مقطوع ومجموع او مقطوعة ومجموعة الى غير ذلك. لكن صرّحوا بان كل ما جآء كذلك محمول على الشذوذ والذي عندنا ان صيغة مفعول لا تجمع هذا الجمع الا بعد سلخها عن معنى الحدوث والحاقها بالاسماء كما أن نحو القاضي لا يجمع على قضاة الا بالشرط المذكور فتقول هؤلآء قضاة البلد وقد حكموا على فلانٍ قاضين عليهِ بكذا ولا تقول قضاةً عليهِ بكذا. واذا استقريت الالفاظ المذكورة وجدت بعضها على ما ذكرناهُ لزوماً وبعضها لا يمتنع ذلك فيهِ فان صحّ هذا لم يبعد ان يكون جمعها كذلك قياساً والله اعلم

زحلة — كيف نلفظ الضمة والكسرة في نحو منهُمْ وعليهِمْ انلفظهما ضماً وكسراً صريحين كما في منهما وعليهما ام نميل بهما الى الفتح كما هو اللفظ الشائع اليوم نجيب هواويني

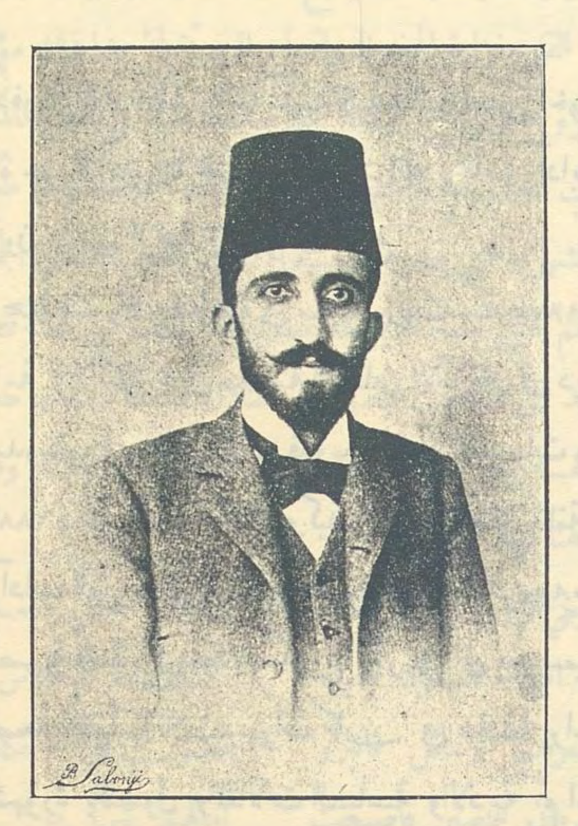
الجواب — الصواب في لفظها ما ذكرتموهُ اولاً وقد تقدم لنا كلامٌ على هذه المسئلة في مجلد السنة الاولى صفحة ٥٦٢

القاهرة — يقال ان قصة عنترة اكثرها موضوع اي لا اصل لهُ فمن الذي وضع هذه القصة وفي اي تاريخ وُضعت احمد شفيق

الجواب — لا يُعلَم ذلك بالتحقيق لكن يقال ان واضعها رجلٌ يقال لهُ ابو المُؤَيَّد بن الصائغ في القرن السادس للهجرة وقيل ان احد ملوك مصر حدثت في دارهِ ريبةٌ وكثر تحدُّث الناس بها فسآء العزيز ذلك واوعز

الى شيخ يقال لهُ الشيخ يوسف او الشيخ علي ان يضع قصةً يشاغل الناس بها عن ذلك الحديث فوضع هذه القصة

انّا لله وانّا اليهِ راجعون



قدكان الحادي عشر من هذا الشهر يوماً صدع القلوب رحمةً وأسفا وقبض الصدور غمّاً ولهفا نُعي في صبيحتهِ الكاتب الاريب والشاعر الناثر اللبيب المرحوم خليل الجاويش احد نوابغ كتّاب العصر وسُبّاق فرسان البراعة في حلبة النظم والنثر قبضهُ الله اليهِ في مدينة حلوان على

اثر داءٍ عزّ دواؤهُ وطالت بُرَحاؤهُ وله من العمر ثلاثون سنةً كان فيها عنوان الذكاء والالمعية وقدوة العاملين في خدمة العلم والانسانية ففقد منهُ الادباء بدراً منيرا وثكل بهِ الاهل غصناً نضيرا وبكت الصحافة ذاهباً كان من انجب ابنائها والآداب راحلاً كان في مقدمة الرافعين للوآئها

وقد دُفن في البلدة المشار اليها بمشهد العدد العديد من اخوانهِ واحبابهِ بعد ان وفوهُ حق التأبين بما يقتضيهِ طيب شمائلهِ ومحاسن آدابهِ وعادوا وهم يستمطرون سحب الرحمة على جوانب ترابهِ

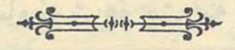
اما ترجمتهُ فقد وُلد رحمهُ الله في مدينة بيروت سنة ١٨٧٢ وتلقى مبادئ اللغتين العربية والانكليزية في مدرسة المرسلين الاميركان في دير القمر ثم انتقل الى مدرستهم في سوق الغرب فدرس مبادئ الطبيعيات والرياضيات وفي سنة ١٨٨٦ دخل المدرسة البطريركية في بيروت فتلقى اللغة الفرنسوية وتخرّج في آداب العربية على صاحب هذه المجلة وبعد خروجهِ من المدرسة أمّ الديار المصرية فانتظم في سلك حكومتها وأُرسل الى بور سعيد من قبل مصلحة الصحة فأقام بها ثلاث سنوات كان في خلالها يراسل جريدة الاهرام المشهورة بالفصول والمقالات السياسية والادبية ثم استقال من خدمة الحكومة وجاء الاسكندرية فتولى رئاسة التحرير في الجريدة المذكورة بانتداب ذويها ولبث على ذلك مدة سبع سنوات اعتلت صحتهُ في اواخرها فاستقال طلباً للراحة والعلاج ولكن الداء كان قد تمكن من جسمهِ النحيف فسافر الى جهات لبنان ثم عاد الى القاهرة فخلوان والايام

لا تزيد العلة الا استفحالاً فلم تغنِ في مناصبتها غُلَوآء الشباب وعادت بذلك الجوهر الى التراب

اما آثار المرحوم فلم يخرج جلّها عما كان يكتبهُ في الاهرام لاستغراقها اكثر اوقاتهِ غيران بعضها كان يُطبَع تحت اسمهِ وبها عرف الكتّاب موضعهُ من صناعة القلم وغزارة المحفوظ واتساع الرويّة وله عدا ذلك مؤلّف لم يُطبع عنوانهُ العزوبة والزواج اودعهُ خلاصةً فلسفية في المعنى المذكور . ولهُ ايضاً تعريب عدة روايات منها ما نُشر في هذه المجلة ومنها ما طُبع في سلسلة الروايات الشهرية التي ينشرها حضرة الاديب يعقوب افندي الجمّال وغيرها. وكان لهُ نظمٌ قليل مليح الديباجة عصريّ الاسلوب من جملتهِ قصيدة طويلة تبلغ ما يزيد على مئة بيت نظمها بعد اعتلال جسمهِ وضمّنها صُوَر ما كان يختلج في نفسهِ من الحركات والمعاني الدالة على لطف حسّهِ وقوّة ادراكهِ ننقل منها هنا قولهُ

وخرجت ابغي الرزق في ارضٍ غدت ادباؤها تمشي بغير حذاءِ
يرجون اقبال السعود بحرفةٍ كتبت مع الافلاس صكَّ وفاءِ
عدموا بفقرهمِ الوسائل فانبروا يقضون في الاحكام كل قضاءِ
ورُمُوا بحرمان النصير فأصبحت آمالهم شرًّا من الاعدآءِ

رحمهُ الله رحمةً واسعة وعوَّض الادب والادبآء من بعدهِ خيراً



فكاهات

الترقي في الحرب (١)

كان بين الجنود الانكليزية التي خاضت معامع الحرب الهندية الاخيرة ضابط ساعدهُ البخت وكتبت لهُ التقادير حظاً في بعض مواقع النصر ورأى رؤساؤهُ فيهِ البسالة والاقدام فجعلوا يرفعون مقامهُ وما عتم ان اصبح جنرالاً وأُطلق عليهِ لقب الجنرال سميث . وكان الجنرال سميث يتعاطى في اوقات الهدنة شيئاً من التجارة فاصاب فيها ايضاً حظاً سعيدًا وثروةً وافرة ولما وجد من نفسهِ الاقتناع بما حصلهُ من المال وابهة الجندية عاد الى وطنهِ انكلترا فابتاع املاكاً في ضواحي لندن وبنى فيها قصرًا فخماً غرس حولهُ حديقةً غنآء وجمع فيهِ ضروب الآثار الشرقية والعاديّات النفيسة واكثرها مما كسبهُ في حروبهِ اثنآء اقامتهِ في الهند

ورأى الجنرال سميث ان يتخذ لهُ معيناً يشاطرهُ تلك الحياة الهادئة وهو لا يزال في السنة الاربعين من عمرهِ فوُفق الى وجود فتاةٍ من اصلٍ كريم واسرةٍ عريقة في النسب كان قد اخنى عليها الدهر واعدمها الاهل الا اختاً تزوَّجت وما طالت مدة هنائها حتى توفي زوجها وتوفيت هي بعدهُ تاركةً طفلاً صغيرًا في السنة الاولى من عمرهِ الى عناية خالتهِ الفتاة وكان اسم الفتاة هنريت والولد كاميل . فجعلت هنريت تنفق من القليل الذي لم يزل في ملك يدها وتعتني بتربية الطفل واتفق في تلك الاثناء ان تعرَّف بها الجنرال سميث فمال الى جمالها المفرط وأُعجب بطهارتها وحسن تربيتها ومبادئها فاقترن بها وجاءت الى قصرهِ ومعها ابن اختها الصغير وكان لها اعظم تسليةٍ في غياب زوجها اذا غاب بدواعي اشغالهِ الخصوصية

وبعد سنتين من زواجهما وضعت هنريت ابنةً تشابهها في جمال الصورة فسرت

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

بها جدًّا اما الجنرال سميث فاستاء في داخله استياء عظيماً لانهُ كان يودّ ان يُرزق ابنًا ذكرًا عوض الابنة فيربيهِ على طباعهِ ويدربهُ في اشغالهِ قبل ان يعاجلهُ الضعف الطبيعي المسبب عن الكبر ويمنعهُ من ذلك . وكان يخشى ان لا يولد لهُ ولدٌ سواها فيتمثل لهُ اذ ذاك ان املاكهُ وامواله صائرةٌ الى الولد كاميل وهو من اسرةٍ اخرى واسمٍ آخر فيزيد ذلك في غصتهِ وربما سبب عندهُ كراهةً لكاميل الا ان محبتهُ الشديدة لزوجتهِ كانت تمنعهُ من اظهار ما يجول في صدرهِ فكتم الامر واخفى عواطفهُ بحيث لم تشعر منهُ بشيء . ولما ترعرع كاميل وحان الشروع في تعليمهِ أُرسل الى مدرسةٍ لا تبعد كثيرًا عن منزل الجنرال وهي اول مرةٍ كان يشعر فيها بمرارة البعاد عن خالتهِ فما كان يصدّق ان يأتي المساء حتى يصل الى البيت ويرمي بنفسهِ على عنقها ويقبلها قبلات المحب الولهان

وارتأت هنريت ان تسمي ابنتها كاميليا فلم يعارض الجنرال في ذلك لانهُ كان لا يحب الابنة ولا الولد فلم يهتمّ بماذا تسميها. واخذت كاميليا في النمو وكاميل مرافقٌ لها في اكلها ولعبها وتنزهها ونومها فتولد بين قلبي الصغيرين حبٌّ هو ابسط واطهر وامتن ما يسمى حبًّا وكان الواحد لا يلتذّ بامرٍ من مشاغل الصغار ما لم يكن الآخر موجودًا يشاركهُ فيهِ ويشاطرهُ اياهُ ولم تزل المحبة تتمكن في صدريهما بمنتهى الطهارة والعفاف

ولما بلغ كاميل السن التي تقبل فيها التلامذة في المدارس العالية ارسلهُ الجنرال الى احدى الكليات فكان بعدهُ ضربةً اليمة على خالتهِ وعلى حبيبتهِ الا ان الاولى رأت في ذلك خيرًا لهُ فسكّنت لواعج قلبها بان كاميل سيكون يوماً رجلاً يفتخر بهِ وان الله قدَّر لهُ زواجها بالجنرال ليحصل على ما حصل عليهِ ولولا ذلك لبقي عاميًّا وعاش عيشة الجهال . واما كاميليا فلم يدرك عقلها الصغير هذه المنافع الجمة ولم يتمثل لها الا ما تشعر بهِ من بعاد كاميل فكانت تصرف اوقاتها في غرفتها مكتئبةً حزينة واذا اجبرتها والدتها على الخروج الى الحديقة كالعادة تخرج بعد ان تمسح دمعتين بلوريتين من مآقيها فتجول في الحديقة كالوالهة وهي لا ترى لها بهجةً ولا لذةً بدون كاميل

ولما انقضت السنة الاولى من سني المدرسة عاد كاميل باذنٍ من الجنرال لقضآء عطلتهِ في البيت وكانت مقابلتهُ الاولى لكاميليا اعظم من ان يقدر ابلغ كاتبٍ على وصفها فانها كانت بانتظارهِ على باب الحديقة الخارجي ولما بلغت العربة التي ارسلها الجنرال لاحضارهِ سور الحديقة ترجل منها كاميل وسار وهو رافعٌ بصرهُ الى نافذة كاميليا لعلهُ يراها مطلةً منها ولكنهُ ما بلغ الباب حتى شعر بجسمٍ ملائكيّ قد وثب على صدرهِ واذرعٍ لطيفة قد التفت حول عنقهِ وكأن آلةً كهربائيةً حركت يدي كامبل فضمّ خصرها بين ذراعيهِ ووضع فمهُ على شفتيها وصمت الاثنان هنيهةً لم يُسمع فيها سوى نبضان قلبيهما ولم يُشاهد فيها الا احمرار وجناتهما وتبدل الوانهما

وكان كاميل يقضي اكثر اوقاتهِ مع كاميليا يقص عليها ما لاقاهُ منذ تركها وما حدث لهُ في المدرسة حرفًا حرفًا وتقص هي عليهِ ما تحملت في غيابهِ من الشوق والاسى وما علت بهِ نفسها من الآمال الى ان رجع اليها وقد ايقن الاثنان انهما قد اجتازا عقبة المصاعب واستقرّت لها حياة السعادة والهنآء . ولكن الحياة دولابٌ مستمرّ الحركة يدور على محورهِ ويتساوى في دورانهِ الاطفال والاحداث والشبان والشيوخ والرعايا والملوك والفقرآء والاغنياء فاذا بلغ جزءٌ من الدولاب اعلاهُ لا يلبث طرفة عينٍ حتى يأخذ في الانحدار . فبينما كامبل وكاميليا يتلذذان باجتماعهما ويسران باحاديثهما لم يشعرا الا وقد انقضت مدة العطلة واضطرّ كامبل ان يعود الى مدرستهِ فتجددت احزانهما اشدّ من المرة السابقة وبدأ كل واحد منهما يذم سوء بختهِ ويسخط على الدهر الذي قضى بتفريقهما

ومضت عليهما سنوات عديدة يغيب فيها كامبل مدة المدرسة ويعود مدة العطلة وما قيل عن السنة الاولى يقال عن السنوات التالية غير انهُ كان يزيد بينهما كل سنة عاطفةٌ اخرى لم يعرفا في مبدأ الامر لها تعريفًا وما هي الا اول شذا العشق الذي يدخل الصدر دخول الرائحة الطيبة ثم يتبخر بعد ان يتجمع فلا يبقى منهُ سوى مادة مخدّرة كالافيون تتسلط على العقل وتلقي عليهِ سباتًا لا يستيقظ منهُ الا بعد القبر . ولما اكمل الاثنان دروسهما وعادا الى منزل الجنرال اذا كامبل رجلٌ

بديع المنظر مهذَّب الطباع رقيق الجانب حلو الحديث وقد وجَّه نظرهُ الى غرضٍ في الحياة وهو ان يوطد لهُ اساساً يبني عليهِ مستقبل ايامهِ ويقترن بكاميليا

ورأى الجنرال سميث ان لا امل لهُ في الحصول على اولادٍ غير كاميليا واشتمّ رائحة شغفها بكاميل ففضل القريب على الغريب وازال من صدرهِ ما كان يضمرهُ لهُ من النفور والكراهة ولا سيما بعد ان رآهُ مكللاً بغار الفوز والامتياز فصار يميل اليهِ ويحبهُ ثم اطلع زوجتهُ على ما عزم من اعطآء كاميليا لكاميل وحصر الارث فيهما بشرط ان يتخذ كاميل سم اسرتهِ وكان هذا ما تتوقعهُ هنريت فشكرت زوجها كثيرًا واصبح من المقرر ان يجري الامر على هذه الخطة . فاستدعى الجنرال كاميل الى غرفتهِ الخصوصية و باحثهُ فيما نوى فلم يهن على كاميل نبذ لقب والدهِ ولكنهُ رأى الخضوع لارادة الجنرال اجدر ولا سيما وانهُ قد عالهُ كرماً منذ حداثتهِ وانفق عليهِ وانهُ سيزوجهُ بابنتهِ ويملكهُ امواله فجثا امام الجنرال وقبل يدهُ وقال ان ابنك كاميل سميث يشكرك و يستسمح والديهِ المتوفيين في تغيير لقبهِ فهما في محل وجودهما يعلمان ضرورة ذلك

وكان الجنرال يودّ جدًّا ان ينتظم كاميل في سلك الجندية وينال فيها تقدماً كما نال هو وعلى الخصوص لانهُ كان يعشق لقب الجنرال سميث ويشتهي ان لا يموت هذا الاسم بعد وفاتهِ . فاطلع زوجتهُ والحبيبين على رغبتهِ هذه فاستحسنها الجميع ولا سيما كاميل فانهُ كان يأنف ان تكون امواله واملاكهُ هبةً من عروسهِ ويودّ كثيرًا ان يحصل هو بكدّهِ واجتهادهِ مالاً او مقاماً يقابل بهِ شيئاً مما سيحصل عليهِ . وهكذا فانهُ لم تمضِ مدةٌ قصيرة بعد هذا العزم حتى دخل كاميل في الجندية وجعل همهُ الوحيد فيها التقدم والشهرة وساعدتهُ التقادير ومساعي زوج خالتهِ فلم تأتِ عليهِ سنواتٌ كثيرة حتى صار ضابطاً . وكان الجنرال وخالتهُ يلحان عليهِ في الاقتران بكاميليا وهو يماطل في ذلك لا عن عدم رغبةٍ منهُ في الزواج ولكنهُ كان قد آلى على نفسهِ ان لا يقترن بعروسهِ الا وهو قد تزين بلقب جنرال وكان قد اعلم كاميليا بعزمهِ هذا فقبلت اضطرارًا وجعلت تطلب لهُ من الله

الحصول على بغيتهِ وتشجعهُ برسائلها وتاكيد محبتها

ونشبت في ذلك الحين الحرب البويرية في جنوبي افريقيا فاهتزت لها انكلترا واخذت في حشد الجيوش وارسالها الى تلك القارة وتهافت اولاد الكبرآء والاعيان على الدخول في عداد المتطوعين طمعاً في شهرةٍ ينالونها او حظٍّ يصادفونهُ . وكان اول من طلب ارسالهُ الى مواقع النزال كاميل لاعتقادهِ انهُ ان كان املٌ في الحصول على رتبة جنرال فلا ينالها الا هنالك . ولما قُبل طلبهُ عاد الى بيتهِ فقضى فيهِ بضعة ايامٍ يتودع فيها من حبيبتهِ وآلها ثم سافر على بركات الله مصحوباً بادعيتهم الحارة وقلوبهم المبتهلة الى الله ان ينيلهُ متمناهُ

ولا حاجة الى وصف مواقع الحرب ونتائجها واحوال العساكر الانكليزية ومهارة رجال البوير فكل ذلك غنيٌّ عن الذكر ولا تعلق لهُ بهذه الرواية اذ غرضنا متابعة سيرة كاميل . فانهُ ما انفكَّ يقتحم بصدرهِ المخاطر ويهجم على اشدّ المواقع هولاً وقد جعل قبلتهُ كاميليا وطريقهُ اليها الترقي وكان كلما انتهى من موقعةٍ يبادر اول كل شيءٍ الى تدوين ما مرَّ بهِ تفصيلاً ويبعث بذلك الى حبيبتهِ ويعدها بقرب الفوز والرجوع اليها سالماً باذن الله

ولاحظ القائد العام كاميل فرآهُ مع صغر سنهِ ونضارة شبابهِ ذا مهارةٍ غريبة في الفنون الحربية ولهُ خفةٌ وجسارةٌ لا تكادان توجدان في سواهُ فقرَّبهُ اليهِ وجعلهُ تحتَ رعايتهِ الخاصة . وكان كلما التحم الجيشان يرى كاميل الاسبق في التقآء الاعدآء بصدرهِ والاخير في رجوعهِ من ساحة المنية وتحقق القائد العام ان انتصار الجيش الانكليزي في موقعتين عظيمتين كان على يد كاميل فاعجب بهِ جدًّا وأنهى لهُ بالترقي ايضاً . واتفق في ذات يوم أن خرج القائد العام بشرذمةٍ من جنودهِ يستشرف العدوّ حسب العادة فلما ابعدوا عن المعسكر اذا بكمينٍ من رجال البوير قد اطبق عليهم من كل ناحيةٍ بعددٍ يفوق عددهم ولما رأى الانكليز ان لا مناص لهم وطنوا عزائمهم على القتال وحدثت بين الفريقين موقعةٌ دموية شديدة ايقن فيها الانكليز بالهلاك لقلة عددهم وعدم تمكنهم من ارسال من يطلب لهم النجدة من

المعسكر . وانهم لفي تلك الحال واذا بجناح البوير الايسر قد ثُغر و بان فيهِ تحت غيوم الدخان و بريق الصفاح كامل وعددٌ من رجالهِ فانتعشت قلوب المحصورين وخشي البوير الفشل فقاتلوا قتال الاسود. ولما أُفرج عن القائد العام حانت منهُ التفاتة فرأى كامل قد ابتعدت عنهُ رفاقهُ واطبق عليهِ نحو عشرة من البوير وهو يدافع عن نفسهِ والمسدَّس بيسراهُ والسيف بيمناهُ فوخز القائد جوادهُ وهجم ببعض رجالهِ الى تلك النقطة فتمكن بعد الجهد من صدّ البوير بعد ان تلاشت قوى كامل وسقط عن ظهر جوادهِ الى الارض مضرَّجًا بالدمآء

وكان السبب في وصول كامل في تلك الساعة انهُ علم بخروج القائد وحدثتهُ نفسهُ بوقوع خطبٍ عظيم فبقي ساهرًا الى ان سمع جلبةً نقلها اليهِ نسيم الليل فهبّ مذعورًا واستدعى رجال فرقتهِ فتبعوهُ ووصلوا في الدقيقة التي كان فيها القائد في معظم الاحتياج اليهم . وانجلت الواقعة عن هزيمة البوير مقهورين بعد ان سقط عدد عظيم من قتلى الطرفين

وامر القائد بنقل كامل الى خيمتهِ حيث اعتنى بهِ اعتناء الوالد بولدهِ الى ان برئت جراحهُ ونقه من حماهُ . وسألهُ القائد يومًا بينما كان جالسًا عند سريرهِ عن غايتهِ في تجشم الاخطار واقدامهِ على ما لا يُطلب منهُ فقصّ كامل عليهِ حديثهُ واخبرهُ انهُ طامع في نيل رتبة جنرال وهو مصممٌ اما ان يموت في القتال او ان يفوز بامنيتهِ وينال ما يسعى لاجلهِ . وادركت القائد شفقةٌ على كامل فعزم على مساعدتهِ في ذلك ووعدهُ بهِ

وطالت مدة الحرب البويرية اكثر مما انتظر الانكليز و بقي كامل سنتين بعيدًا عن وطنهِ يعارك ويكافح جهدهُ في براري وجبال الترنسڤال ويخفف من شوقهِ العظيم ووجدهِ الشديد بما كان يكتبهُ الى حبيبتهِ مع كل بريد . وفي نهاية السنة الثانية وصل الى كاميليا منهُ كتابٌ يقول فيه

حبيبتي الوحيدة ومنتهى املي

ان مدة بعادنا قد قاربت الانتهآء ولا اشك في انكِ تسرّين جدًّا متى

وصلكِ كتابي هذا وعلمتِ منهُ انني قد ادركت بغيتي وصرت جنرالاً . اما حصولي على ذلك فقد كلفني كثيرًا فاني في موقعة الاسبوع الغابر تحملت فوق طاقتي وكانت الموقعة هائلة جدًّا وكنت كلما تلاشت قواي يتمثل امامي شخصكِ المحبوب فيكسبني قوةً جديدة فاعيد الكرّة على الاعداء بقلبٍ لم يعد يعلم انهُ يوجد ما يسمونهُ موتًا . وتكاثر علينا العدوّ جدًّا فاصابني شبه ظلمةٍ في عينيَّ فلم اعد ارى امامي شيئًا وكانت الدماء تنزف من جراحي فشعرت اني اسقط عن جوادي الى الارض ولم اعلم شيئًا بعد ذلك . ولما افقت وجدت نفسي في مستشفى الجيش والقائد العام بجانبي و بيدهِ نوطٌ ذهبي جميل فعلقهُ على صدري وقال لي اهنئك بسلامتك ايها الجنرال . فعلمت للحال انهُ قد انعم عليَّ بهذه الرتبة وشكرتهُ بما حضرني ساعتئذٍ . ولكن الاطباء منعوني عن الكلام وعن اقل حركة او تهيج ووعدني القائد انهُ سيردّني الى انكلترا مع اول باخرة اذا لم تجد الاطباء مانعًا لسفري . وفي هذا النهار قرَّر طبيبي ان لا مانع من السفر وانهُ من الضروري ان اعود الى انكلترا لتبديل الهواء فسأترك مدينة الرأس في ٢٠ الجاري

لا تزال حمى خفيفة تعاودني فلا استطيع ان اكتب اكثر . قدّمي تحياتي الى والديكِ واستعدّي للقاء محبك

كاميل

ولما بلغت هذه الرسالة كاميليا واطلعت والديها عليها اغتمّ الجميع مما حدث لكاميل ولكنهم سرّوا بخبر نيلهِ رتبة الجنرال ورجوعهِ وجعلوا يعدّون الايام وينتظرون وصولهُ واكثرهم شوقًا الى ذلك كاميليا . ولما قرب موعد وصول الباخرة جعلت تزين بيديها جميع غرف البيت ولا سيما المحلات التي كان كاميل يحبّ الجلوس او التنزه فيها . وفي صباح اليوم الذي هو موعد وصولهِ ركبت عربتها وذهبت لاستقبالهِ في المحطة وتركت والديها ينتظرانهما في البيت . وحالما ركبت العربة ألهبت ظهر الجواد بسوطها وهي تودّ لو انهُ من النعام او بعض الطيور حتى بلغت المحطة فاقامت تنتظر القطار وما مضى الا دقائق قليلة حتى انبأها دخانهُ

بوصوله فهجمت الى الباب وعيناها تتنقلان في اوجه الركاب لتتبين حبيبها منهم ولكنها لم تره ُ فشعرت بانقباض في صدرها وترقرقت الدموع من مآقيها . ثم ابصرت ضابطاً فسألته ُ هل الجنرال كامبل بصحبتهم فقال نعم . قالت واين هو فقد جئت لاستقباله . فنظر اليها الضابط نظرة انعطاف وقال يستحيل ان تريه هنا ايتها السيدة ولا يمكن ان يراه ُ احدٌ قبل بلوغه الى نظارة الحربية فالافضل ان ترجعي فتنتظريه في البيت الى ان يوافيك هنالك

وشعرت كاميليا بخوَر استولى على حواسها فكادت تقع مغمى عليها ولكنها شددت عزائمها فركبت العربة وعادت يائسةً مكسورة الخاطر ولا تدري لذلك سبباً

و بعد ظهر ذلك اليوم كان الجنرال سميث وزوجته ُ وكاميليا واقفين في مدخل الحديقة يعدّون الدقائق وهم بانتظار كامبل متعجبين من ابطآئه واذا بعربةٍ قد وصلت وترجل منها شخص عرفه ُ الجنرال سميث انه ُ احد رؤسآء اقلام الحربية فتعجب من قدومه و بعد التحية ادخله ُ الى بيته واشار الى زوجته وكاميليا ان تتبعاه ُ. ولما استقرّ بهم المقام لحظ الرجل في عيني كاميليا نار الشوق لاستطلاع اخبار كامبل فانقبضت نفسه ُ وتلعثم في الكلام وادرك الجميع ان خبرًا سيئًا استقدمه ُ اليهم فلم يجسر احدٌ ان يبتدئ بسؤاله . و بعد صمتٍ قليل كان كلٌّ في اثنآئه يناجي افكاره ُ لم يشعروا الا بعربةٍ قد وقفت عند البيت ونزل منها اربعة عساكر يحملون نعشاً مغطى بالراية الانكليزية فدخلوا به الى حيث كانت الاسرة مجتمعة

وما وقع نظر كاميليا على النعش حتى ادركت الامر وعلمت ان حبيبها جآء كما وعد وانما جآء ميتاً فصاحت بصوتٍ كانه ُ قطع احشآءها وسقطت الى الارض فاقدة الشعور . وانطلق اذ ذاك لسان الرجل الغريب فاجتهد في تعزيتهم والتلطف بحال كاميليا حتى اذا هدأت خواطرهم من مصادمة تلك الفجاة اعلمهم ان الجنرال كامبل عاودته ُ الحمى في البحر وتوفي عند وصوله الى بورتسموث وانه ُ لما شعر بدنوّ اجله طلب ورقاً وكتب رسالةً . ثم قدم لهم الرسالة فتناولها الجنرال وقرأها بصوتٍ تقطعه ُ زفراته ُ وشهيق كاميليا ووالدتها واذا فيها ما يأتي

حبيبتي كاميليا ومنتهى املي

قد عاودتني الحمى بشدة وربما كان سببها تهيجي الشديد لتصوُّري قرب اللقآء وقد اخبرني الطبيب بان اجلي قد دنا فاكتب هذه الاسطر لاودعك الوداع الاخير . اني لا اتأسف على فقد حياتي وانما اتأسف ان القضآء لم يسمح لي بالاجتماع بكِ والحصول عليكِ . وقد ابليت في الحرب البلآء الحسن واحرزت بغيتي بنيل لقب جنرال واما الامنية المحبوبة عندي التي هي انتِ فان احصل عليها ومن المستحيل ان ينال الانسان كل ما يؤملهُ . اذكريني ايتها المحبوبة واذا كنتِ تحبينني كما احبكِ فلا تدعي الجزع والقنوط يتسلطان عليكِ وتزودي من دنياكِ ما شئتِ من المسرات . اما اذا التقينا في غدٍ فساكون في انتظاركِ مع محبتي الحالية . يقال انهُ لا زواج في الابدية ولكن يكفيني ان يكون الملاك الطاهر وهو انتِ برفقتي في حالة السعادة والهنآء . ان تصوري انني بلغت انكلترا ولا يمكنني ان اراكِ يعجل في موتي فآه من احكام القدر . وفي دقائقي الاخيرة اطلب الى الله تعالى ان يهبني امرًا واحدًا وهو ان ابقى حيًّا الى ان اتزود منكِ آخر نظرة واودعكِ شفاهًا . ولكن لا لا . ان المشهد يكون اعظم مما تقدرين على احتمالهِ وخيرٌ لي ان لا القي عليكِ هذا الرعب . الوداع يا كاميليا . الوداع يا خالتي المحبوبة . الوداع يا سيدي الجنرال . حبيبتي كاميليا . . ان . . .

وكانت الكلمات الاخيرة غير واضحة تدل على اهتزاز يدهِ في كتابتها ومباغتة الموت اياهُ قبل اتمامها

ولاحاجة الى وصف ما حصل من الانفعالات لكل فردٍ من تلك الاسرة مما يعجز القلم عن بيانهِ . فدفن كاميل بمزيد الاحترام والوقار كما تدفن اعاظم رجال الحرب . وآلت كاميليا على نفسها ان لا تقترن بعدهُ باحد فبقيت مقيمة على وعدها تزور ضريحهُ يومًا فيومًا وتكللهُ بالزهور وتبلل ثراهُ بدموعها